للمرأة مثل الرجل

الانتخابات البرلمانية واجبٌ وطنيٌ وحقٌ دستوريّ

علي بن عبدالله الضمبري*

الانتخاب - في اللغة - معناه: الاختيار، والانتقاء، والاصطفاء، وقد تعلّمنا من القرآن الكريم أن الحق - جلّ في علاه - (يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس) ويسمو بهم ليكونوا (من المصطفين الأخيار).

إذن.. الاصطفاء.. الانتخاب.. معناه أن ننتقي من نراهم (من الأخيار) ونصطفي من نقتنع أنهم سيكونون (رسلاً) بيننا وبين السلطة.

ولقد مر على الناس حينٌ من الدهر كان حكمهم جبرياً، وملكهم عضوضاً، أجبرهم على الطاعة العمياء، والولاء الضيق، والانصياع الذليل، والاتباع المهين حتى قال أبو العلاء المعرّي:

تلوا باطلاً وجَلَوا صارماً
فقالوا: صدقنا؟ فقلنا: نعم

وذلك ما ذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بأن (الخلافة) بعده تكون ثلاثين عاماً/ ثم تكون (مُلكاً جبرياً) ثم تكون مُلكاً عاضاً.

ونلاحظ أنه صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله، ذكر مصطلحين هما (خلافة) و(مُلك) وهما مصطلحان متناقضان، فصاحب (الخلافة) يستشعر أنه خَلَف وتبع، وسار على نهج من قبله، فهو يتبع منهجية الأنبياء ملتزماً بشرع الله الذي بوّأه ليكون (خليفة) وقال اه (أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) ويتذكر مقولة النبي موسى عليه السلام لأخيه هارون عليه السلام: (اخلفني في قومي ولا تتبع سبيل المفسدين).

أما مصطلح (مُلك) فإنه قد جاء في القرآن قول الحق الذي قوله الحق: (إن الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة وكذلك يفعلون).

والنظام الملكي يفسد (الحكم) الذي نُقِض بزوال الخلافة لقوله عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام: (لتنقضنّ عُرى الإسلام عروةً عروةً كلما نُقضت عروة تمسّك الناس بالتي تليها.. أولهن نقضاً الحكم، وآخرهن نقضاً الصلاة).

ولتذكر كيف كان النظام الملكي في اليمن، وكيف كانت أنظمة سلطنة وإمارة ومشيخة بعيدة عن الشورى، ومشاركة الشعب، وتعزيز دور المرأة.. حتى قامت الثورة الدستورية في ١٩٤٨م ثم ثورة سبتمبر١٩٦٢ م وأكتوبر ١٩٦٣م وتحرّر جنوب اليمن في نوفمبر ١٩٦٧م وتوحّد في ٢٢ مايو١٩٩٠ م.

نحو المشاركة

يقصُّ علينا القرآن في (القصص الحق) موضوع (ملكة سبأ) واستشارتها قومها. واستعانتها برأيهم، وتلك خطوة متقدمة في المشاركة الشعبية في ذاك الزمان الغابر.. وتلك مفخرة ومأثرة خلّدها القرآن لأهل اليمن.

ولما جاء الإسلام تجسّدت هذه المشاركة في أول لقاء بين أهل اليمن من الأنصار مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلّم في بيعة العقبة الأولى، ثم في بيعة العقبة الثانية، وقد ذكر المؤرخون وعلماء السيَر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قال لَهم: (أخرِجوا إليّ اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم) «راجع البداية والنهاية».٣/١٦١

وهذا يعني أن الـ ٧٥ صحابياً وصحابية (امرأتان) انتخبوا واصطفوا وانتقوا واختاروا منهم ١٢ نائباً أو وكيلاً أو مندوباً أو ممثلاً ليكونوا كفلاء ونوّاباً وممثلين عن قومهم!!

ولعلنا لم ننسَ عمل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الذي انتخب ستة من الصحابة، بل فلنقل: رشّح ستة من الصحابة لكي يتم انتخاب أحدهم ليكون خليفة بعده، فوقع الاختيار على ذي النورين سيدنا عثمان بن عفّان رضي الله عنه.

ولعل هذين المثلين النموذجيين كافيان للتأكيد على (شرعية الانتخابات)، ولن أتعمق في مناقشة من يجيز الانتخابات أو من ينكرها إلى درجة (التحريم) الذي يصل إلى (تكفير) من يدعو إليها .. ولكني سأنظر نظرة مغايرة إلى الانتخابات آخذاً الاعتبارات التالية:

أولاً: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد كان دائماً مايشاور أصحابه حتى أُثِرَ عنه أنه يقول قبل كل أمرٍ (أشيروا عليّ أيها الناس) .. وما ذكرته آنفاً من لقائه وفد الأنصار يؤكد إقراره - بل دعوته وحثه وأمره- على اختيار وانتخاب الأنسب والأصلح والأكفأ.

ثانياً: الانتخابات العامة -في زماننا- بمثابة شورى واسعة أو (رأي عام) تُعرف من خلاله توجهات الناس، ورغباتهم، ومواقفهم، وآراؤهم، ووجهات نظرهم في (الأشخاص) و(البرامج) و(الأطروحات) حتى يتم اختيار وانتقاء وانتخاب المناسب في مكانه المناسب.

ثالثاً: حينما يشعر الناس بالظلم والإقصاء ويعانون الاستبداد والأثرة فهم إما أن يحملوا السلاح ويشقوا عصا الطاعة، وينابذوا الحكام، أو أن يفكروا في (تغيير سلمي) يحقن الدماء، ويحفظ الأرواح ويصون المكتسبات، ويحقق الأمان والسلام، ويغيّر الواقع.

رابعاً: تعاون على البر: جاء في الحديث أن (البر) هو (ما اطمأنت إليه النفس)، ونفس المسلم تطمئن - بحكم فطرته ودينه- تطمئن إلى كل ما يعمّر ولا يدمّر، وإلى كل من يُصلح ولا يُفسد، وإلى كل من يجمع ولا يفرّق، وحينما يتعاون الناس على البر فإنهم يعملون على تعزيز الإيجابيات، ونبذ السلبيات لتطمئن النفوس جميعاً.

خامساً: تقديم الأصلح: تهدف الانتخابات إلى تقديم (المتميزين) الذين يخدمون أمتهم على اعتبار أن (خير الناس أنفعهم للناس) الحديث، لأن (القوي الأمين) يستمد قوته من دينه وقيمه وصدقه وواقعيته وأمانته، وبالتالي فهو يرى أنه (مستخلف) عن ناخبيه، ووكيل عمن انتخبه من الناس.

سادساً: (ولتكن منكم أمة)، بهذا الخطاب القرآني نفهم شرعية الانتخابات بصفتها واجباً وطنياً دينياً شرعياً، إذ أمر القرآن أن تكون هناك (أمة: مجموعة من الناس) تدعو إلى الخير تحقيقاً للمصلحة الشرعية التي هي (عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، ومصالح كلها) كما قال ابن القيم، رحمه الله.

سابعاً: (يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر) تحت هذه المظلة القرآنية يدرك المسلمون أهمية وجود (أمة: مجموعة من الناس) يجب اختيارهم من (المتميزين) المشهود لهم بالنزاهة والنباهة والعلم والتقوى، والخير لكي يقوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دوائرهم وبرلمانهم وبلدهم.

ثامناً: (لا تلبسوا الحق بالباطل) لأن (بعضهم) يدّعي أن (مجلس النائب) يحلّل ويحرّم ويشرّع، وهذا خاطر خاطئ، لأن الناب المسلم أو النائبة المسلمة يتحريان حكم الشرع في كل مسألة، ويجعلان الكتاب والسنة مرجعية لكل ما يتدارسونه من قضايا، ولا يمكن لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن (يشرّعا) ما يضاده أو يلغيه، أو يعطّله.

تاسعاً: (فليتنافس المتنافسون) على خدمة الأمة، وحماية الدين، وصيانة القيم، ورعاية المبادئ التي أمر الإسلام أن تُتّبع، من خلال توحيد الصف، ورأب الصدع، ونبذ الخلاف، وتقديم الأولويات في الاهتمام بنشر العلم النافع، وتعزيز العمل الصالح، والمحافظة على المكتسبات، والقضاء على السلبيات.

عاشراً: إذا جاء أمر يرتبط بأمن الأمة يجب أن نبحث في ثوابتنا الشرعية -كتاباً وسنة وقياساً وإجماعاً- ولنأخذ ذلك من الذين (يستنبطونه) اجتهاداً يخدم الإسلام، ويعزز حاكميته، ويتولى مبادئه، من خلال ما يعرف لدى النواب باسم (لجنة تقنين أحكام الشريعة) في كل شئون الحياة ومفاصلها.

يد الله مع الجماعة

يحرص الإسلام على إشاعة (جماعية المشاركة) في العبادات كالصلاة، والحج، والصيام، ولو أننا تتبعنا (المعطى الاجتماعي) وحلّلنا أهدافه الإنسانية لوجدنا أن (روح الجماعة) تتجسد في العديد من ممارساتنا العبادية عبوراً نحو مشاركتنا السياسية والاجتماعية، حتى أن ديننا يعلمنا أن (الأيادي حينما تكثر على الطعام تصيبه البركة) .. وكم عبّر القرآن والسنة عن هذه الجماعية التي توحّد الجهود، وتحدّد الأهداف، وتجمع القلوب والمشاعر على كلمة سواء، وموقف موحّد، وسياسة شرعية يتجلّى فيها الصدق والوضوح والموضوعية والأمانة والنزاهة والتقوى، والمدافعة، والرد بالتي هي أحسن .. وهذا بالطبع يناقض السياسات الأرضية (البراجماتية) المصلحية التي تخلو من أي اعتبار إلا (المصلحة الذاتية).

وحينما يعمق الإسلام في شرائعه وشعائره معنى (الجماعة) فإنه يؤكد على تماسك المجتمع، وتغليب المصلحة العامة التي لا تعارض الشرع، والمساواة في أداء الواجب، والمشاركة في القيام بالمهام المجتمعية لأن (ذئب التفرقة) يأكل من (غنم السياسة) القاصية عن صراط الله، ومنهج الإسلام، وصف الأمة، وقد مر علينا زمان ظهر فيه سياسيون (اجتالتهم الشياطين) فاتجهوا إلى الشرق الشيوعي أو إلى الغرب الرأسمالي، ولم يدروا أن على تلك الاتجاهات شياطين السياسة والخساسة الذين (يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً).

وعلينا أن نعود إلى (الرحمة كلها والعدل كله) كما جاء بذلك إسلامنا الحنيف، من خلال مشاركة الجميع -رجالاً ونساءً- لإقامة شرع الله، ورفع راية الإسلام، وتوحيد أمة التوحيد، وبناء مستقبل العدل والرحمة والاكتفاء الذاتي والعمل المثابر، والوحدة المستمرة، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال وعي عميق بأهمية (التغيير) عبر صندوق الانتخابات التي تحل فيها الأوراق مكان القذائف، والأقلام بدل الرصاص، والصناديق عوضاً عن الألغام .. وقبل ذلك ينبغي تهيئة المناخ العام بالحفاظ على السلم الأهلي، والقبول بالآخر، واحترام الرأي المخالف على منهجية (رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب).

بل على منهجية القرآن التي تقبل بالآخر تواضعاً له، وتوداً إليه، وإصلاحاً لخطئه، واندماجاً معه دون إفراط أو تفريط (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين).

وبهذه (الروح الجماعية) نستطيع تحديد مطالبنا، وتنظيم جهودنا، وتحقيق أهدافنا بإذن الله بشرط الإخلاص له، والخضوع لحكمه، والاتباع لنبيه الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .. يستوي في ذلك الرجال والنساء، تحت شعار: (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله).

ومن علامات (رحمة الله) أن تتضافر جهودنا أجمعين للمحافظة على هذا (الولاء) القيمي الديني الاجتماعي .. وصيانة كل المبادئ من أن يعتورها خلل أو اضطراب أو استبداد، أو ظلم، أو إلغاء، أو إقصاء، أو أثرة وأنانية، أو كبت للحريات .. فتلك كلها (منكرات) يجب أن يتوالى على مكافحتها كل (المؤمنين والمؤمنات) الذين (يطيعون الله ورسوله) لأنهم جميعاً يدركون أن الطاعة تشمل الجانب الاقتصادي والبُعد الاعتقادي، والهدف الاجتماعي والغاية العبادية .. ابتداء من بيت الأسرة إلى (بيت الأمة: البرلمان) .. وابتداء من (مقاعد الدراسة) وانتهاء إلى (كراسي السلطة)..

وكلنا نعلم أن (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يكون باليد واللسان والقلب، ونعلم أننا في زمانٍ صار فيه (المعروف منكراً والمنكر معروفاً) .. وصار المسلم (غريب الوجه واليد واللسان) في زمن قال عنه أبو العلاء المعرّي:

يسُوسُون الأمور بغير عقل
وينفذ أمرهم، ويُقال: ساسة
فأُفّ من الحياة، وأُفّ منهم
ومن زمن سياسته خَساسة

هنا .. لا نستطيع أن (نغير المنكر باليد) إلا عبر صناديق الاقتراع لا بالتفجير ولا بالتفخيخ، ولا بالقوة .. لأن لدينا رصيداً ضخماً فخماً من التفكير والحوار و(قوة الحق) لا حق القوة .. ولن يكون الحق قوياً إلا بأيد متساندة، وسواعد متضامنة، وقلوب وجلة، وأرواح طيبة، وعقول منفتحة، ومساحات منفسحة.

وللمرأة حضور فاعل في ذلك الرصيد التاريخي المبارك .. ولن نكرر ما بدأنا به كلامنا .. بل سنظل نؤكد على أنه يجب أن يكون للمرأة مشاركة مباركة، معززة مكرمة للتغيير نحو الأفضل سعياً نحو الوصول إلى منهاج النبوة، وسيراً على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

وكلنا يعلم الضوابط الشرعية في التعامل مع المرأة المسلمة بدون إفراط ولا تفريط .. إذ لا يجوز أن نلغي دور المرأة في بناء المجتمع، وتربية الأجيال، وحضانة القيم، وحصانة المبادئ، وصيانة المجتمع، منذ أن ناصرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فجر الوحي، وعند المبعث، وأثناء الدعوة، وفي ساحات القتال، ومجالس العلم، فكيف لنا الآن أن نمنع (إماء الله) من أن يجعلن ساحات الحياة (مساجد الله) يؤمر فيها بالمعروف، ويُنهى فيها عن المنكر، وتقام عليها شريعة الله، وتبنى منها بيوت الله التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه في المنزل والشارع والمدرسة والمصنع والمستشفى والوزارة، ومجلس النواب، ودار القضاء، وقصر الحكم، وقاعات الدرس؟؟

ولا يجوز لنا أن نجعل المرأة (صوتاً) ثم نضربها (سوطاً) إذا رفعت صوتها دفاعاً عن دين الله، وتصحيحاً لأخطاء الحاكم أو المحكوم، أوَلسنا نذكر تلك المرأة التي ردّت على (الفاروق عمر رضي الله عنه) فرجع إلى قولها لأنها دعمت قولها بقول ربها فقال: (أخطأ عمر وأصابت المرأة)..؟؟

ليس عيباً أن تصوّب امرأة خطأ سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً فإن نبي الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم استشار زوجته أم سلمة رضي الله عنها، وليس حراماً أن يكون للمرأة حضور سياسي فاعل لتصحح مسيرة أخواتها المؤمنات اللائي اتجهن شرقاً أو غرباً.

أوَليس من الواجب أن تتكامل أفكارنا مثلما تتكافأ دماؤنا كما قال النبي الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

يجب أن (يسعى بذمتنا أدنانا، ويجب أن نكون يداً على من سوانا) كما علمنا قائدنا الأعلى صلوات ربي وسلامه عليه لكي ينمو البلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه إذا وجد من يبذر الحب ويبذل الخير ليُخرج لنا زرعاً يستوي على سوقه قوياً فتياً متماسكاً، يعجب العالم كله من خلال نموذجية مشاركته، وإنسانية هدفه، وشرعية منطقاته .. وليغيظ الكفار الذين ودّوا لو نكفر كما كفروا .. وما ودّوا أن ينزل علينا خيرٌ من ربنا فنكون كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أخي المواطن
أختي المواطنة

بالتحصين صارت اليمن خالية من شلل الأطفال.. فساهم في الحفاظ على هذا الإنجاز بتحصين أطفالك دون سن الخامسة في الحملة

الحملة الوطنية للتحصين ضد شلل الأطفال - الجولة الثانية - من منزل إلى منزل لجميع الأطفال دون سن الخامسة، في الفترة 9-11 من يناير 2012 م.